العطور المستوردة من الهند خلال العصر العباسي: دراسة في التجارة والذوق العباسي بين القرنين الثاني والرابع الهجري

م.م. وفاء كامل داود سليمان
جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
wafaa.kamil@uomosul.edu.iq

الملخص:

تناول البحث أحد الجوانب الثقافية والاقتصادية المهمة في الدراسات العباسية، ألا وهو موضوع العطور المستوردة من الهند، خلال الحقبة الممتدة من القرن الثاني حتى القرن الرابع للهجرة. وسعت هذه الدراسة إلى تتبع أنواع العطور القادمة من الهند، ومسارات التجارة التي حملتها إلى بلاد الخلافة العباسية، وتناولت مكانة هذه العطور في الحياة اليومية والقصور العباسية، وكذلك دورها في التعبير عن الذوق العام والترف الحضاري.

منهج البحث وصفي تحليلي، استندنا فيه إلى مصادر عربية معاصرة للعصر العباسي، ومقارنتها بمصادر استشراقية وحديثة، إضافة إلى نصوص من كتب الطب والجغرافيا والتاريخ. وقد أظهرت النتائج أن العطور الهندية مثل: العود والصندل والكافور كانت حاضرة بقوة في الحياة العباسية، سواء في الاستعمال الشخصي أو الطقوس الدينية أو في الهدايا الرسمية والدبلوماسية.

وخلصت الدراسة إلى أن تجارة العطور كانت تعكس التبادل الثقافي بين الحضارة الإسلامية والهندية، وكانت رمزًا للترف والنخبوية في المجتمع العباسي.

الكلمات المفتاحية: العطور، الهند، التجارة، العود، الصندل، الكافور.

Al Malweah
for Archaeological
and Historical Studies

Vol 13, Issue 43, Feb 2026
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

Imported Perfumes from India during the Abbasid Era: A Study of Trade and Abbasid Taste between the 2nd and 4th Hijri Centurie s

Asst. Lect. Wafaa Kamil Dawod Suleiman

University of Mosul / collage of elucidation for human sciences

Abstract:

This study investigates the cultural and commercial significance of perfumes imported from India during the Abbasid era, between the 2nd and 4th centuries AH. It explores the types of Indian perfumes, the trade routes connecting India and the Abbasid Caliphate, and the role of these perfumes in daily life and at the Abbasid court.

The study uses a descriptive-analytical method based on primary Arabic sources from the period, as well as comparative modern and Orientalist studies. The findings reveal that Indian perfumes such as oud, sandalwood, and camphor were prominent in Abbasid society, reflecting a high level of refinement and luxury.

This research concludes that the perfume trade symbolized cultural exchange and the cosmopolitan nature of Abbasid urban life.

Keywords: Perfumes, India, Trade, Oud, Sandalwood, Camphor.

المقدمة:

شكّلت العطور عنصرًا أساسًا في حياة الإنسان، منذ فجر التاريخ ليس فقط كونها وسيلة للزينة، بل بوصفها دلالة ثقافية تعبّر عن التمدّن والرقي والذوق العام.

وقد نالت العطور في الحضارة الإسلامية عامة، وفي العصر العباسي بشكل خاص مكانة متميزة، اذ ارتبطت بالحياة الاجتماعية والروحية والنخبوية.

ولعل من أبرز مظاهر هذه الثقافة العطرية، هو الاستيراد المنظم للعطور من الهند، التي كانت تُعد من أهم مصادر المواد العطرية النادرة والثمينة؛ لما تمتلكه من نباتات وزيوت وعطور لا تتوافر في البيئة العربية أو الفارسية.

امتازت العلاقة بين الدولة العباسية والهند، سواء في المجال التجاري أو الثقافي، بالغنى والتنوّع، وكان للعطور دورٌ خاص في هذه العلاقة، إذ كانت تُعد من أهم السلع الفاخرة المتبادلة عبر طرق بحرية وبرية منتظمة.

وقد شاع ذكر هذه العطور في كتب المؤرخين والجغرافيين والرحالة والأطباء العباسيين، مما عكس حضورها في الحياة اليومية والمجتمعية.

وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع، إلا أنه لم يحظَ بدراسة أكاديمية مستقلة تدرس العطور الهندية تحديدًا، وتتتبع حضورها الاقتصادي والثقافي في الدولة العباسية.

وعليه سعى هذا البحث إلى تقديم دراسة تحليلية موثقة عن العطور المستوردة من الهند من حيث الأنواع، والمصادر، وطرق الاستيراد، ودورها في الحياة العباسية.

ولهذا البحث اهمية، إذ إنه كشف لنا جانبًا مهمًا من مظاهر الرفاه العباسي، وعلاقة ذلك بالتجارة الدولية، ومن ثم الاسهام في دراسة التاريخ الثقافي والمادي للدولة العباسية، فضلًا عن أنه سلط الضوء على الهند كمصدر أصيل ومهم في التجارة العطرية الإسلامية، فضلًا عن توظيف المصادر التاريخية والطبية والجغرافية لرسم صورة دقيقة عن تجارة العطور.

وفيما يتعلق بمشكلة البحث، فإنه على الرغم من توافر إشارات عديدة في المصادر التراثية التاريخية عن ورود العطور الهندية إلى الدولة العباسية، فإنها وردت متناثرة، دون دراسة موضوعية مستقلة تربط بين هذه الإشارات وتُحلّل دلالاتها الاقتصادية والثقافية.

وكان اعتمادنا على المنهج الوصفي التحليلي وذلك باستقراء النصوص التاريخية والجغرافية والطبية التي تشير إلى العطور الهندية، وتحليل طبيعة هذه العطور ودلالاتها الثقافية، فضلًا عن الربط بين الوقائع التجارية والمظاهر الاجتماعية.

ومما يجدر الاشارة اليه هو أنه لم نعثر على دراسات اكاديمية سابقة مستقلة ومتخصصة في موضوع "العطور الهندية في العصر العباسي". وأن ما توافر هو إشارات عرضية ضمن دراسات أوسع حول: التجارة العباسية (مثل: دراسة الطرق التجارية في الدولة العباسية للدكتور عبد العزيز الدويك).

اما حدود البحث الزمنية فإنه غطى الحقبة الممتدة من بداية العصر العباسي (132هـ) إلى نهاية القرن الرابع للهجرة (400هـ)، وهي الحقبة التي بلغ فيها التبادل التجاري والثقافي ذروته.

اما مكانيًا فركّز على المراكز العباسية الكبرى مثل: بغداد والبصرة وسامراء، بوصفها مراكز استهلاك رئيسة، وموانئ التجارة مثل: السند وساحل عمان كمراكز استيراد.

Vol 13, Issue 43, Feb 2026
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

الفصل الأول

المبحث الاول: العلاقات التجارية بين الهند والدولة العباسية

شكّلت العلاقات التجارية بين الهند والدولة العباسية أحد أبرز روافد التبادل الحضاري والاقتصادي في العصور الوسطى. وكانت السلع الهندية، وفي مقدمتها العطور، تدخل الأسواق العباسية عبر طرق بحرية وبرية منظمة.

وساهمت تلك التجارة في مدّ الخلافة العباسية بالمواد الفاخرة التي تعكس تطور الذوق الرفيع والترف الاجتماعي، فضلًا عن أنها عزّزت من مكانة الهند بوصفها مصدرًا حضاريًا وتجاريًا مرموقًا.

أولًا: الطرق التجارية بين الهند والدولة العباسية

1- الطريق البحري:

كانت العطور الهندية تصل إلى الدولة العباسية عبر المحيط الهندي وبحر العرب، إذ كانت السفن تنقل العطور من موانئ الهند الغربية (مثل: كوشين، وكاليكوت) إلى موانئ الساحل العماني ثم إلى البصرة.

وذكر أن التجار كانوا يستعملون المراكب الكبيرة لنقل البضائع العطرية من الهند إلى سواحل الخليج العربي، وكانت البصرة مركزًا رئيسًا لتوزيع تلك المنتجات داخل الخلافة. (ابن خرداذبه، 1889، ص 42، 45، 78).

وأكد الباحث جورج أوراني (George Hourani) أن العرب امتلكوا سفنًا ضخمة مجهزة لعبور المحيط الهندي، نقلت البضائع من كاليكوت وساحل مالابار إلى موانئ الخليج مباشرة (Hourani, 1951, P. 68–70).

2- الطريق البري:

كان هناك طريق بري يمرّ عبر إقليم السند، ومن ثم إلى مناطق خراسان والعراق. وقد ساعد على ذلك فتح العباسيين للسند في عهد المنصور (ت 158هـ)، إذ إنه سهّل حركة القوافل التجارية.

وأشار المؤرخون إلى وجود سلع هندية فاخرة مثل: الصندل والكافور والعود التي كانت تصل إلى بغداد عبر هذا الطريق، وتُباع بأسعار مرتفعة. (المقدسي، 2004، ص 336–339).

وأكد المؤرخ الهندي إرفان حبيب (Irfan Habib) أن السند كانت منطقة محورية لها اهمية كبيرة في تصدير العطور والأدوية النباتية الهندية إلى العراق. (Habib, 2012, P. 73).

ثانيًا: الموانئ والمراكز التجارية

1- ميناء كامباي (Cambay):

يُعد من أبرز موانئ غرب الهند في تصدير العطور (ولاسيما العود والصندل والكافور). ويعدّ نقطة رئيسة في شبكة الملاحة الإسلامية في المحيط الهندي. (Tibbetts, 1971, P. 76–78)

2- ميناء سيراف:

اما في سواحل الخليج العربي، فكان ميناء سيراف مركزًا لتجميع العطور القادمة من الهند، ومن ثم يعاد تصديرها إلى البصرة وبغداد.

وقد وصفه المسعودي فقال: ((وسيراف مدينة عظيمة فيها تجار العطر والعود والكافور، ومنها يُحمل إلى البصرة فبغداد)). (المسعودي، 1965، 1/322-324).

3- مدينة البصرة:

تعدّ مركز التوزيع الأساس، وكانت تُعرَض فيها العطور الهندية في أسواق خاصة مثل: سوق العطارين. وأشار ابن الفقيه ((إلى أن البصرة مَجمع للعود والكافور الهندي)). (ابن الفقيه، 1998، ص 113).

ثالثًا: التجار والوسطاء

أدى التجار الهنود والفرس دورًا بارزًا في نقل العطور من الهند إلى العراق.

وقد اشير إلى وجود تجار هنود في بغداد يبيعون العود والكافور والصندل. (ابن النديم، 1971، ص 145-148)

أما جويتين (Goitein)، فوثّق وجود شبكة تجارة قوية بين الهند وبغداد وذلك برسائل تجار ووسطاء، مشيرًا إلى أن تجارة العطر كانت من ((أغلى أنواع التجارة المربحة)). (Goitein, 1967, P. 105–107)

رابعًا: العطور كسلعة دبلوماسية

أُرسلت العطور الهندية كهدايا سياسية إلى الخلفاء العباسيين، كما ورد في أخبار بلاط هارون الرشيد.

وقد سجل أن أحد ولاة السند بعث إلى الرشيد بعود كاليكوتي وكافور من أفضل الأنواع. (اليعقوبي، 1983، 2/321، 328).

وأشار Irfan Habib أن البلاط العباسي أولى اهتمامًا خاصًا بالعطور الهندية النفيسة، وقيل: إنها كانت تدخل في بروتوكولات تقديم الهدايا الرسمية. (Habib, 2012, P. 81).

Vol 13, Issue 43, Feb 2026
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

خامسًا: التأثير المتبادل بين التجارة والسياسة

ساهمت التجارة المنتظمة في العطور والمواد الفاخرة في تثبيت العلاقات السياسية بين الهند والخلافة العباسية، ولاسيما في عصر الخلفاء الأوائل.

وقال Tibbetts : إن تجارة العطور ربطت بين المدن، مثل: البصرة وبغداد وسيراف من جهة، وبين كوشين وكاليكوت وكامباي من جهة أخرى في تحالف بحري واقتصادي متين (Tibbetts, 1967, P. 89).

المبحث الثاني

أنواع العطور الهندية المستوردة في العصر العباسي

امتازت الهند بتنوّع مواردها النباتية والعطرية منذ العصور القديمة، مما جعلها مركزًا عالميًا لإنتاج العطور الثمينة، التي كانت تُعد من الكماليات المطلوبة لدى النخب العباسية.

ولم تكن العطور الهندية مجرد منتجات تجارية، بل شكّلت علامة دالة على الرفاه والذوق الراقي في المجتمع العباسي.

وفي هذا المبحث سنتعرف على اهم الأنواع التي وردت او صدرت من الهند، وخصائصها واستعمالاتها، كما وردت في المصادر التراثية والطبية والرحلات، وكذلك ما وثقته الدراسات الاستشراقية.

أولًا: العود (Agarwood – Oudh)

هو خشب عطري نادر ينتج من أشجار الآكويلاريا (Aquilaria) ، عند إصابة هذه الاشجار بعفن أو فطريات خاصة فيحث تغيرًا في قلب الخشب فيتكون فيه رانتج عطري ثمين يستعمل بخورًا او يقطر منه زيت يسمى دهن العود ويعد من انفس المواد العطرية واغلاها (الجنابي، 1998، ص 112–113).

وتتركز أهم مواطنه الطبيعية في شمال شرق الهند، وبالأخص ولاية آسام، إذ تُعَدّ هذه المنطقة من أبرز البيئات الحاضنة للشجرة منذ العصور القديمة، إذ تشير الدراسات الميدانية إلى وجود مزارع وحفظ تقليدي لها في مناطق آسام العليا. (Saikia & Khan, 2014, P. 263).

ويُستخرج العود من غابات بنغلادش، ولاسيما بالغابات الجنوبية والشرقية التي تُعدّ موطنًا طبيعيًا لأشجار العود .

وتُظهر الدراسات أن هذا القطاع يمثّل مجالًا اقتصاديًا واعدًا (Islam et al., 2012, P. 42). إلى جانب ذلك، ينتشر العود على نطاق واسع في جنوب شرق آسيا، ولاسيما ماليزيا وإندونيسيا وتايلاند ولاوس وكمبوديا وفيتنام، وهي دول أدت دورًا محوريًا في تجارة العود عبر القرون (Naef, 2011, P. 73–74).

اما بالنسبة إلى مكانته في الثقافة العباسية فإنه كان يعد من أغلى العطور التي كانت تستوردها الدولة العباسية، وكان يستعمل في القصور والمجالس الخاصة، إذ قال الجاحظ: ((ليس شيء أطيب عند القوم من دُخنة العود الهندي إذا أُوقد في مجالس الخلفاء)) (الجاحظ، 1988، 133/2).

وأحيانًا في المساجد خلال صلاة الجمعة، وورد ذكره في الحديث الشريف ((احب الطيب، وكان له شك يتطيب منه)) (القشيري، 1994، 1722/4).

وقد ورد استعماله في التطيب في الجنائز والمناسبات الدينية. (الجزيري، 1913، 207/1).

وهناك اشارات توكد على إنه استعمل في الطب: فقد ذكره ابن سينا وأوصى به لعلاج الصداع وتقوية القلب. (ابن سينا، 1997، 107/2).

وأورده الكندي في رسالته (في العطر والتصعيدات)، مبينًا درجات جودة العود الهندي، ولاسيما ما يُسمى بـ(الكلَكُتي)؛ نسبة إلى كاليكوت. (الكندي، 2004، ص 127)، وقد أشار المستشرقون منهم تيبتس إلى أن خشب العود كان يُحمّل من سواحل مالابار إلى الخليج، ويصل إلى بغداد مع البخور الهندي. (Tibbetts, 1971, P. 84).

ومما سبق نلاحظ أن العود كان رمزا للترف والسلطة في الخلافة العباسية، وقد استعمل في قصور الخلفاء ومجالسهم لتبخير الاجواء واضفاء الهيبة والفخامة، وذكر أنه كان يستورد بأسعار باهظة، لذا اقتصر على النخبة والاغنياء.

فضلًا عن أنه كان يقدم كهدايا دبلوماسية لتوطيد العلاقات السياسية، ومما زاد في اهميته هو ارتباطه بالطقوس الدينية، مما منحه مكانة روحية واجتماعية عالية الى جانب دوره في التجارة البحرية مع الشرق.

ثانيًا: الصندل (Sandalwood – Ṣandal)

استخرج زيت الصندل من أشجار Santalum album المنتشرة في جنوب الهند، ولاسيما كارناتاكا، وقد استعمل في تبخير الملابس والبيوت .بسبب رائحته الزكية ، وفي تحضير المراهم والأدوية ، فضلًا عن التطهير الروحي.

إذ قال المسعودي: ((ومن الهند يُحمل الصندل الأبيض والأحمر، وهو مما يُهدى إلى الملوك ويُثمن ثمنًا باهظًا)). (المسعودي، 1965، 324/1).

اما فائدته طبيًا، فذكر أن زيت الصندل ((مبرد، مقوٍ للأعصاب، ويوصف لعلاج الحمى)). (الرازي، 1988، 292/4).

وأكد ابن البيطار فائدته في المراهم الجلدية، ولاسيما للبَشرة. (ابن البيطار، 1992، 142/3).

وقد وثق الغربيون أن تجارة الصندل كانت من أكثر أنواع العطور الهندية ربحًا، وأنها تركزت بين تجار الهند والخليج الإسلامي. (Habib, 2012, P. 85).

ومما سبق نلاحظ أن الصندل شكل عنصرًا مهمًا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ثالثًا: الكافور (Camphor – Kāfūr)

على الرغم من أن الكافور يُستخرج أيضًا من شرق آسيا، إلا أن الهند كانت تُصدّر نوعًا نقيًّا يُدعى "كافور بنجابي". (ابن البيطار، 1992، 142/3).

واهم استعمالاته: هو جعله ضمن العطور المركبة، وفي التحنيط وكذلك علاج الالتهابات.

وقد أهدى أحد أمراء الهند إلى هارون الرشيد كمية من الكافور النقي ضمن عطوره الخاصة، كما ورد في أخبار البلاط. (اليعقوبي، 1983، 328/2).

واكد الدمشقي أن ملك سرنديب كان ابرز من ارسل الكافور الى الخليفة هارون الرشيد، إذ ضمنه في هدايا نفيسة اخرى مثل: الياقوت واللؤلؤ (الدمشقي، 2007، ص 79).

مما يعكس مكانة الكافور كسلعة نادرة وذات قيمة رمزية عالية في العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية وممالك الهند.

وقد أشار المستشرق Goitein إلى أن الكافور الهندي كان يمر عبر سيراف ويُعاد تصديره إلى القاهرة ودمشق، ويعد من أغلى المواد الطبية والعطرية. (Goitein, 1967, P. 107).

ويتبين لنا أن الكافور جمع بين الوظيفة العطرية والطبية والرمزية، مما جعله سلعة فاخرة ذات اهمية اقتصادية ودينية.

رابعًا: المسك الهندي والزعفران

على الرغم من كون الصين والتبت مصدرين رئيسين للمسك، إلا أن الهند كانت مركزًا مهمًا للتوزيع وإعادة التصدير للمسك.

اما الزعفران فكان يستورد من كشمير بكميات صغيرة؛ كونه غالي الثمن، وذكر المؤرخون أنه يُستعمل في تركيب العطور الفاخرة. (ابن سينا، 1997، 109/2).

وهذه اشارة إلى أن لهما قيمة مزدوجة طبية وعطرية.

خامسًا: العطور المركبة والتراكيب العطرية الهندية

تحدث المؤرخون عن صناعة العطر منهم الكندي، إذ ذكر أن بعض الخلطات المعقدة كانت تُستورد جاهزة من الهند، وتتضمن العود، والصندل، والمسك، والعنبر. (الكندي، 2004، ص 127).

مما يدل على أن لها تأثير واضح في الذوق العباسي، إذ استوردت جاهزة او كمكونات، وقد نقل العباسيون بعض اساليب التراكيب الهندية الى بغداد مما اسهم في نشوء مدرسة عباسية للعطور.

الفصل الثاني

المبحث الأول: استعمالات العطر في الحياة العباسية: الدين، والقصر، والمجتمع

كانت العطور في العصر العباسي أكثر من مجرد كونها مواد تزيين أو روائح جذابة، بل كانت تعبيرًا واضحًا عن ثقافة متكاملة تنسج بين الدين، والذوق الرفيع، والترف الطبقي، والممارسات الاجتماعية.

لقد استُعملت العطور في مختلف مناحي الحياة بدءًا من الطقوس الدينية وحتى المجالس الحضرية، مرورًا بالقصور والخلافة، إذ إنها كانت تعدّ رمزًا للسلطة والرقي والفخامة .

أولًا: العطور في السياق الديني

1- دور العطر في الطقوس الدينية الإسلامية:

ذكر علماء الإسلام أن العطور من الأمور المحببة في حياة المسلم؛ لما في ذلك من نقاء وجمال يليق بالمصلّي والمسجد.

قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): ((إن الله جميل يحب الجمال)) (رواه مسلم بن الحجاج في صحيح مسلم، كتاب الزكاة، حديث رقم 2315، بتحقيق الإمام مسلم، دار الحديث، الطبعة الحديثة).

وقد اتبع الخلفاء العباسيون هذا المبدأ، فكانوا يزينون المجالس والمساجد يوم الجمعة بالعود والعطور الفاخرة .

وقد ورد في كتب الحديث والسير أن الخليفة هارون الرشيد كان يرسل عودًا وصندلًا ليُوقد في المسجد، وأيضًا في المناسبات وصلاة الجمعة، والاحتفال بالمولد النبوي.

مما سبق يتبين لنا أن العطور كانت تُستعمل لإضفاء قدسية وأناقة ورائحة زكية على المكان.

2- ذكر العطور في الكتب الفقهية:

أورد الفقهاء مثل: ابن عبد البر والنووي في كتبهم الفقهية نصوصًا تشير إلى جواز استعمال العطور، مع تأكيدهم على الاعتدال، وأنه مستحب للمسلم أن يكون نظيفًا وعطرًا ولاسيما عند حضور الصلاة والجماعات. (ابن عبد البر، 2000، ص 80؛ النووي، 1992، 90/10).

ونلاحظ أن هذه التعاليم تعكس واقعًا اجتماعيًا كان فيه العطر عنصرًا ضروريًا في التنشئة الاجتماعية والعبادة.

ثانيًا: العطور في القصور العباسية

1- رمزية العطر في السلطة والخلافة:

استعمل الخلفاء العباسيون العطور كوسيلة للتعبير عن هيمنتهم ورقيّهم، سواء في المجالس الرسمية أو الخاصة.

وقد وصف المؤرخون مثل: الطبري والثعالبي كيف كان هارون الرشيد وورثته يحيطون أنفسهم بالعطور، وينثرون العود في أروقة القصر، فضلًا عن أن الخدم كانوا يرشون العطر على الثياب وعلى الأرض لتعم الرائحة الجميلة في كل مكان. (الطبري، 1990، 480/8؛ الثعالبي، د. ت، ص 176).

2- العطور والضيافة:

كانت الضيافة العباسية تعدّ من أبرز مظاهر الفخامة، وكانت العطور أبرز سماتها، إذ كان الضيوف يستقبلون بعبير العود والكافور، وكانت تُقدم لهم هدايا عطرية ثمينة كنوع من انواع التكريم. (القاضي، 1959، ص 431).

وهذه الدلالة تؤكد على أن الطيب والعنبر كانا من عناصر التكريم والتهنئة الرسمية.

3- دور النساء والجواري في استعمال العطور:

ذكر المؤرخ ابن فضل الله العمري أن نساء القصر كن يعشقن العطور الهندية، وكانت الجواري يتنافسن في اختيار أندرها وأفخرها، (العمري، 1997، ص 299).

وكان ذلك يعكس مكانة المرأة في بلاط الخلفاء واهتمامها بالمظهر والذوق.

ثالثًا: العطور في الحياة الاجتماعية والمجالس العامة

1- الأسواق والمتاجر:

كانت الأسواق الكبرى ولاسيما في بغداد والبصرة تضم أسواقًا مخصصة للعطور، إذ كان العطارون يقدمون مزيجًا من العطور الهندية والفارسية والعربية.

ووصف الجاحظ إحدى هذه الأسواق موضحًا أهمية العطر في الحياة اليومية للناس من مختلف الطبقات، وذكر أن سوق العطارين كان يعرف برائحة الطيب قبل أن يرى؛ لكثرة ما يعرض فيه من عود وعنبر ومسك وكافور وزعفران وغيرها من المواد العطرية. (الجاحظ، 1960، 134/2).

ويتضح لنا أن العطور استعملت في المناسبات الاجتماعية، إذ كان العطر عنصرًا ضروريًا في الأعراس، والمناسبات الدينية، والمناسبات الاجتماعية مثل: الولائم، وكان كذلك يُوزع على الحضور، أو يُرَشّ على الملابس.

مما يعكس أهمية العطر كرمز اجتماعي وجمالي.

وقد ورد أن العطر استعمل في الطب الشعبي، إذ ذكرت كتب الطب العباسية، مثل: كتاب ابن سينا والرازي أن العطور مثل: العود والكافور والصندل لا تستعمل فقط للزينة، بل كانت لها خواص علاجية، تُستعمل في معالجة بعض الأمراض الجلدية والنفسية.

مما يعكس فهمًا متقدمًا للعطور كمواد ذات تأثيرات متعددة.

فضلًا عن دور العطر في التعبير عن الهوية الثقافية فقد كان جزءًا من الهوية الحضرية للمجتمع العباسي، ووسيلة للتعبير عن الأناقة والذوق الرفيع.

وساعد على تشكيل صورة حضارية متطورة منفتحة على مصادر ثقافية مختلفة، ولاسيما الهند.

ويمكن القول إن العطر كان «لغة غير لفظية» تنقل معاني الرقي، والنقاء، والتفاخر الثقافي.

الدراسات الحديثة حول العطور في المجتمع العباسي

تشير الدراسات الحديثة، مثل: دراسة الدكتور سامي عبد الرحمن، إلى أن العطور في العصر العباسي أدت دورًا مركزيًا في إظهار الفوارق الاجتماعية، وكان اختيار نوع العطر دلالة على المكانة الاجتماعية والاقتصادية. (عبد الرحمن، 2019، ص 45–60).

وأكد الباحث غرانت بيترسون (Grant Peterson) في كتابه Fragrances of the Islamic World على أن العطور كانت جزءًا من «الطابع الثقافي للعالم الإسلامي»، إذ استعملتها النخبة من خلفاء وامراء لترسيخ سلطتها الاجتماعية والسياسية.

المبحث الثاني: العطر كسلعة فاخرة في التجارة والدبلوماسية العباسية

إن العطور في العصر العباسي تجاوزت حدود الاستعمال الشخصي لتصبح سلعة اقتصادية ودبلوماسية مهمة. فقد كانت العطور الفاخرة جزءًا من الثروة المتداولة في الأسواق، وكذلك من الهدايا الرسمية التي تعزز العلاقات بين الخلفاء والدول المجاورة، ولاسيما الهند.

أولًا: العطر كسلعة تجارية

1- أهمية العطر في السوق العباسي:

تعدّ العطور الهندية من أبرز السلع الفاخرة في الأسواق العباسية؛ لما تتمتع به من جودة عالية وندرة، ولاسيما العود والصندل والكافور.

وقد وصف المقدسي الأسواق في بغداد والبصرة قائلًا: ((الأسواق تزخر بالعطور الهندية التي يطلبها العامة والخاصة، وتعد من أثمن ما يُباع في القوافل)). (المقدسي، 2004، ص 338).

وأشارت المصادر الحديثة إلى أن سوق العطور كان له تنظيم خاص، يشرف عليه العطارون المحترفون، وكانت هناك معايير صارمة لضمان جودة العطور. (الدويك، 1998، ص 58).

2- الوساطة التجارية:

كان التجار الهنود والفُرس يعملون كوسطاء في استيراد العطور من الهند، عبر شبكة من القوافل البحرية والبَرية. وقد سجلت وثائق قديمة عن تحركات السفن المحملة بالعطور من كاليكوت وميناء كامباي. (Hourani, 1995, P. 69).

ثانيًا: العطر في الدبلوماسية والهدايا الرسمية

1- العطر كرمز سياسي:

استعملت العطور كهدايا رسمية في المراسلات بين الخلفاء العباسيين والحكام الهنود، وفي استقبالات السفراء، إذ كان للهدايا دور كبير في تعزيز اواصر الصداقة ...

إذ ذكر اليعقوبي: إرسال وُلاة السند إلى الرشيد هدايا من العود والكافور الفاخر. (اليعقوبي، 1983، 328/2).

وأشار ابن الأثير إلى أن الخليفة كان يهدي الحكام والرؤساء زجاجات العطر الثمينة تعبيرًا عن الاحترام وتحقيقًا للتقارب السياسي. (ابن الأثير، 1965، 215/4).

2- استعمال العطر في المناسبات الرسمية:

إن رش العطر في الاحتفالات الرسمية أمرًا معتادًا، يرمز إلى الطهارة والرفعة، وكانت القصور مفعمة بأريج العطور في المناسبات الدينية والسياسية. (عبد الرحمن، 2019، ص 45-60).

ونلاحظ مما سبق الدور المهم للعطر في التجارة الدولية، وسوقها داخل الدولة العباسية، واستعمالها في البذخ الدبلوماسي.

ثالثًا: التأثير الاقتصادي لاستيراد العطور الهندية

1- العوائد الجمركية والتجارة الدولية:

حصلت الدولة العباسية على فائدة ماليَّة كبيرة من خلال فرض الضرائب والرسوم على البضائع الفاخرة، من بينها العطور.

إذ اظهرت سجلات الخراج أن العطور كانت من أهم السلع التي درت أرباحًا عالية، ولاسيما عند مرورها عبر موانئ الخليج مثل: سيراف والبصرة. (الدويك، 1998، ص 64).

ونلاحظ أن تحكم الدولة العباسية في تجارة العطور اعطاها قوة اقتصادية انعكست على قوتها السياسية.

2- الاستقرار السياسي والتجاري:

كان لتجارة العطور مساهمة فعالة في استقرار العلاقات بين الدولة العباسية والهند، إذ اعتمدت على ضمانات أمن القوافل والطرق البحرية، مما أدى إلى توسع الأسواق وتنوع المنتجات . (Habib, 2012, P. 82).

وقد أشار (ادم متز) إلى أن تجارة العطور كانت مؤشرًا على ثراء الخلافة العباسية ورخائها الاقتصادي ، وأنها ساعدت في تعزيز دور بغداد كمركز تجاري عالمي. (ادم متز، 1945، ص 214).

رابعًا: صناعة العطور المحلية وتأثرها بالعطور الهندية

مع ازدياد الطلب على العطور، نشأت صناعة محلية في العراق تحاكي التركيبات الهندية، وقد طور العباسيون وصفات عطرية خاصة بهم.

وكان للكندي دور مهم في صناعة العطور، إذ ذكر وصفات معقدة تجمع بين العود الهندي والزيوت المحلية، (الكندي، 2004، ص 130).

في محاولة لإنتاج عطور تجمع بين الجودة والرائحة الفريدة.

ووضع رسائل في تركيب العطور والتصعيد (التقطير)، مثل: رسالته في انواع العطور والتصعيدات التي تعد من اقدم المؤلفات العربية التي دمجت بين الفلسفة الطبيعية والتقنية التطبيقية في مجال العطور.

إذ إنه لم ينظر للعطور كزينة فقط، بل عدّها جزءًا من الطب الوقائي والعلاجي، وإنه ربط بين رائحة معينة واثرها على المزاج والصحة مثل: (الورد المهدي، والمسك المنشط). (الكندي، 1950، 2/351-390؛ عياد، 1987، ص 145-168).

ويمكن القول إن الكندي مثل حلقة الوصل بين الحرفة التقليدية للعطارين والعلم التجريبي المنهجي ،وقد انعكس اثره في جعل الخلافة العباسية رائدة في تطوير صناعة العطور، سواء من حيث التقنية او البعد الطبي والفلسفي .

الخاتمة

تناول البحث بشكل موسّع العطور الهندية المستوردة إلى الدولة العباسية من حيث طرقها التجارية، وأنواع العطور، واستعمالاتها في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية، ودورها كسلعة فاخرة في التجارة والدبلوماسية.

واتضح أن العطور كانت سلعة ذات أهمية كبرى، لا تقتصر على كونها منتجات جمالية، بل امتدت لتكون جزءًا من البنية الاقتصادية والسياسية والثقافية في الخلافة العباسية، ويعود الفضل في ذلك الى موقع العراق الاستراتيجي وشبكة الطرق التجارية الممتدة حتى الهند.

ويبقى هذا المجال غنيًا للدراسات المستقبلية التي يمكن أن تُثري فهمنا للتبادل الحضاري في العصور الوسطى.

الخاتمة:

أهم ما توصلنا اليه من نتائج هي:

1. تعددت طرق الاستيراد، فالعطور الهندية وصلت إلى العراق عبر طرق بحرية من موانئ غرب الهند إلى الخليج ، وطرق برية عبر السند، مما يدل على وجود بنية تجارية متطورة ومتعددة القنوات.
2. تنوع العطور وجودتها فقد كانت العطور المستوردة من الهند مثل: العود والصندل والكافور والمسّك والزعفران من أرفع وأثمن أنواع العطور المستعملة في القصور والمساجد والمجالس.
3. كان للعطور الاثر الديني والاجتماعي وأنها كانت مرغوبة شرعًا ومحببة في الاستعمال، ومرتبطًة بالنظافة والعبادة .

   فضلًا عن أنها أدت دورًا بارزًا في تقاليد الحياة الاجتماعية والاحتفالات.
4. مثلت العطور سلعة اقتصادية ودبلوماسية، إذ إنها شغلت موقعًا مركزيًا في التجارة الخارجية والخليجية، فضلًا عن أنها استعملت كهدايا دبلوماسية لتعزيز العلاقات مع الهند.
5. تطورت الصناعة العطرية المحلية، إذ تأثرت الصناعة العطرية العباسية بالعطور الهندية، مما أدى إلى ازدهار صناعة العطور المحلية ذات الوصفات العطرية المتميزة.
6. تبين لنا أن العطور الهندية كانت جسرًا حضاريًا بين الشرق الإسلامي والهند، وعكست وجود تلاقح اقتصادي وثقافي عميق.
7. أوضحت هذه الدراسة أن العطور لم تكن مجرد سلع استهلاكية، بل أدوات فاعلة في رسم ملامح المجتمع العباسي، باستعمالها في الدين، والسلطة، والاجتماع، والاقتصاد.

وأهم التوصيات:

1. ضرورة القيام بالمزيد من الدراسات الميدانية وإجراء البحوث الأثرية المتعلقة بالتجارة في الموانئ العباسية مثل: سيراف والبصرة للكشف عن بقايا المواد العطرية.
2. التركيز على دراسة الاستعمالات الطبية والدينية للعطور في المصادر الإسلامية الأصلية بالتعمق في النصوص الفقهية والطبية.
3. ينصح بدراسة أثر تجارة العطور على الفنون والأدب العباسي، لفهم أعمق للعلاقات الثقافية بين الهند والعالم الإسلامي.

   أي: ربط الدراسات التجارية بالتاريخ الثقافي.
4. إدراج الترجمات الحديثة للمصادر العربية والهندية للاستفادة من المعلومات المتقاطعة، بتشجيع الترجمات والتوثيق متعدد اللغات اقتراحات لدراسات مستقبلية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، عز الدين (1965م). الكامل في التاريخ. تحقيق: محمود شاكر، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ج4.
2. ادم متز، (1945م). الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري. ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، ط1، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1.
3. ابن البيطار، محمد بن أبي بكر، (1992م). الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ج3.
4. الثعالبي، (د. ت). لطائف المعارف، تحقيق: احسان عباس، بيروت: دار صادر.
5. ابن خرداذبه، عبد الله بن أحمد، (1889م). المسالك والممالك. تحقيق: دي خويه.، بيروت: دار صادر، ط2.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل، (1995م). صحيح البخاري. تحقيق: محمد زغلول النجار، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، حديث رقم 5893، كتاب الأدب.
7. الجاحظ، عبد الله بن محمد، (1988م). البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار صادر. الطبعة3، ج2.
8. الدمشقي، شمس الدين محمد، (2007م). نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية.
9. الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا، (1988م). الحاوي في الطب. تحقيق: عبد الحميد سليم، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ج4.
10. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، (1997م). القانون في الطب، تحقيق: مصطفى حلمي الأرناؤوط، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ج2.
11. الطبري، محمد بن جرير، (1990). تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ج5.
12. ابن عبد البر، (2000م). الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الامصار. تحقيق: سالم محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ج 8.
13. عبد الرحمن، سامي، (2019م). "دور العطور في المجتمعات الإسلامية".، مجلة التراث العربي.
14. العمري، ابن فضل الله، (1997م). مغامرات الأنفس في طبقات الأنبياء والملوك. تحقيق: عبد الله العروي، بيروت: دار الكتب العلمية.
15. ابن الفقيه، (1998م). البلدان. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
16. القاضي، رشيد بن الزبير، (1969م). الذخائر والتحف (العطايا السلطانية). تحقيق: محمد حميد الله، الكويت.
17. القشيري، مسلم بن الحجاج، (1994م). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الفكر، الطبعة الثالثة، حديث رقم 2315، كتاب الزكاة.
18. الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، (2004م). رسائل الكندي الفلسفية. تحقيق: رشيد ياسين، بيروت: دار النفائس.
19. المسعودي، علي بن الحسين، (1965م). مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: شوقي ضيف، بيروت: دار صادر، ج1.

20. المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد، (2004م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق: د. خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية.
21. النسائي، أحمد بن شعيب، (1997م). سنن النسائي. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، حديث رقم 5145، كتاب اللباس.
22. ابن النديم، محمد بن إسحاق، (1983م). الفهرست. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى.
23. النووي، يحيى بن شرف، (1992م). المجموع شرح المهذب. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ج10.
24. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، (1983م). تاريخ اليعقوبي. تحقيق: بول كسالي، دمشق: دار الفكر.

List of sources and references:

1. Ibn al-Athir, Izz al-Din (1965). Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History). Edited by Mahmoud Shaker, Beirut: Dar al-Ma'rifah, 2nd edition, vol. 4.
2. Adam Metz (1945). Islamic Civilization in the Fourth Century AH. Translated by Muhammad Abd al-Hadi Abu Rida, 1st ed., Cairo: Committee for Authorship, Translation, and Publication, 1st ed.
3. Ibn al-Baytar, Muhammad ibn Abi Bakr (1992). Al-Jami' li-Mufradat al-Du'iyya wa al-Adhdhiyya (The Comprehensive Collection of Medicinal and Foodstuffs). Edited by Abd al-Salam Harun, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., vol. 3.
4. Al-Tha'alibi (n.d.). Lata'if al-Ma'arif (Subtleties of Knowledge). Edited by Ihsan Abbas, Beirut: Dar Sadir.
5. Ibn Khurdadhbeh, Abdullah ibn Ahmad (1889). Al-Masalik wa al-Mamalik (Paths and Kingdoms). Edited by De Goejeh, Beirut: Dar Sadir, 2nd ed.
6. Al-Bukhari, Muhammad ibn Ismail (1995). Sahih al-Bukhari. Edited by: Muhammad Zaghloul Al-Najjar, Cairo: Dar Al-Maaref, Second Edition, Hadith No. 5893, Book of Literature.
7. Al-Jahiz, Abdullah ibn Muhammad, (1988). Al-Bayan wa al-Tabyin. Edited by: Abd al-Salam Harun, Beirut: Dar Sadir, Third Edition, Vol. 2.
8. Al-Dimashqi, Shams al-Din Muhammad, (2007). Nukhbat al-Dahr fi Ajaib al-Barr wa al-Bahr. Edited by: Ahmad Farid al-Muzaidi, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
9. Al-Razi, Abu Bakr Muhammad ibn Zakariya, (1988). Al-Hawi fi al-Tibb. Edited by: Abd al-Hamid Salim, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, First Edition, Vol. 4.
10. Ibn Sina, Abu Ali al-Husayn ibn Abdullah, (1997). Al-Qanun fi al-Tibb. Edited by: Mustafa Hilmi al-Arnaout, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Second Edition, Vol. 2.
11. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir, (1990). History of the Prophets and Kings. Edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, third edition, vol. 5.
12. Ibn Abd al-Barr, (2000). The Comprehensive Remembrance of the Schools of Jurists of the Regions. Edited by: Salim Muhammad Atta, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, vol. 8.
13. Abd al-Rahman, Sami, (2019). "The Role of Perfumes in Islamic Societies." Arab Heritage Magazine.

14. Al-Omari, Ibn Fadlallah, (1997). Adventures of the Souls in the Classes of Prophets and Kings. Edited by: Abdullah al-Arwi, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
15. Ibn al-Faqih, (1998). Al-Buldan. Edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, first edition.
16. Al-Qadi, Rashid ibn al-Zubayr, (1969). Treasures and Gifts (Sultanic Gifts). Edited by: Muhammad Hamidullah, Kuwait.
17. Al-Qushayri, Muslim ibn al-Hajjaj, (1994). Sahih Muslim. Edited by: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Cairo: Dar Al-Fikr, Third Edition, Hadith No. 2315, Book of Zakat.
18. Al-Kindi, Abu Yusuf Ya'qub ibn Ishaq, (2004). Al-Kindi's Philosophical Letters. Edited by: Rashid Yassin, Beirut: Dar Al-Nafa'is.
19. Al-Mas'udi, Ali ibn Al-Hussein, (1965). Meadows of Gold and Mines of Gems. Edited by: Shawqi Dayf, Beirut: Dar Sadir, Vol. 1.
20. Al-Maqdisi, Shams Al-Din Muhammad ibn Ahmad, (2004). The Best Divisions in Knowing the Regions. Edited by: Dr. Khalil Al-Mansour, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
21. Al-Nasa'i, Ahmad ibn Shu'ayb, (1997). Sunan Al-Nasa'i. Edited by: Mustafa Abdul-Qadir Atta, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, First Edition, Hadith No. 5145, Book of Clothing.
22. Ibn al-Nadim, Muhammad ibn Ishaq, (1983). Al-Fihrist. Edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta, Damascus: Dar al-Fikr, first edition.
23. Al-Nawawi, Yahya ibn Sharaf, (1992). Al-Majmu' Sharh al-Muhadhdhab. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, first edition, vol. 10.
24. Al-Ya'qubi, Ahmad ibn Abi Ya'qub, (1983). Tarikh al-Ya'qubi. Edited by: Paul Kasali, Damascus: Dar al-Fikr.

المصادر الغربية والدراسات الحديثة:

1- Hourani, George F., Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times, Princeton University Press, Princeton, 1995.
2- Tibbetts, G.R., Arab Navigation in the Indian Ocean, Cambridge University Press, Cambridge, 1971.
3- Goitein, S.D., A Mediterranean Society: The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza, Vol. I, University of California Press, Berkeley, 1967.
4- Habib, Irfan, India and the Islamic World: Interactions and Cultural Exchanges, Oxford University Press, Oxford, 2012.
5- Gerald, Lisa, Economic Patterns in the Abbasid Era, Cambridge University Press, Cambridge, 2017.
6- Peterson, Grant, Fragrances of the Islamic World, Oxford University Press, Oxford, 2015.
7- Peterson, Grant. Fragrances of the Islamic World. Oxford University Press, 2015.
8- Groom, Nigel. The New Perfume Handbook. Blackie Academic & Professional, 1997,
9- Gerald, Lisa, Economic Patterns in the Abbasid Era, Cambridge University Press, 2017.

المراجع:

1. الجزيري، عبد الرحمن بن محمد (1913م). الفقه على المذاهب الأربعة. القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية.
2. الدوري، عبد العزيز (2006م). النظم الإسلامية. بيروت: دار الوراق، ط3.

3. الدويك، عبد العزيز (1998م). الطرق التجارية في الدولة العباسية. عمّان: دار الشروق.
4. عبد الرحمن، سامي (2019م). "دور العطور في المجتمعات الإسلامية". مجلة التراث العربي، العدد 34.
5. مغربي، سعيد بن علي (2012م). العلاقات بين الدولة العباسية والهند. مجلة جامعة أم القرى للعلوم الاجتماعية، العدد 15.
6. الهند والعباسيون: دراسة في العلاقات الثقافية والتجارية، بحث منشور في مجلة "تراثيات"، مركز بحوث التراث.
7. الجنابي، قيس كاظم (1998م). العطر عند العرب. بيروت: دار الكتب العلمية.

References:

1. Al-Jaziri, Abd al-Rahman ibn Muhammad (1913). Jurisprudence According to the Four Schools of Thought. Cairo: Al-Matba'a Al-Kubra Al-Amiriya.
2. Al-Douri, Abd al-Aziz (2006). Islamic Systems. Beirut: Dar Al-Warraq, 3rd ed.
3. Al-Duwaik, Abd al-Aziz (1998). Trade Routes in the Abbasid State. Amman: Dar Al-Shorouk.
4. Abd al-Rahman, Sami (2019). "The Role of Perfumes in Islamic Societies." Arab Heritage Magazine, Issue 34.
5. Maghribi, Sa'id ibn Ali (2012). Relations between the Abbasid State and India. Umm Al-Qura University Journal of Social Sciences, Issue 15.
6. India and the Abbasids: A Study of Cultural and Commercial Relations, a study published in the "Turathiyat" magazine, Heritage Research Center.
7. Al-Janabi, Qais Kazim (1998). Perfume Among the Arabs. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.